شخصيات رواية "نجمة" بين الفنية والواقعية

The characters of the novel Nedjma between the realistic and the artistic sides.

فتيحة شيخ *

كلية الآداب والفنون جامعة الشلف (الجزائر)، doctorat.classic.2019@gmail.com

د/ عبد القادر بعداني

كلية الآداب والفنون جامعة الشلف (الجزائر)، a.baadani@univ-chlef.dz

تاريخ الوصول: 2020/11/18 تاريخ القبول 2021/07/19 تاريخ النشر 2021/09/27

ملخص:

يهدف هذا البحث لتقصي شخصيات رواية "نجمة"، تلك الشخصيات المستمدة في الغالب من الواقع، التّي يغلب عليها البؤس والشقاء، ويسيطر عليها الآخر (الفرنسي) العنفواني المخرب للوطن، فهي تمد العمل السردي بجمالية تجعله أقرب للواقع منه للخيال.

الكلمات المفتاحية: نجمة؛ شخصيات جزائرية/ فرنسية؛ سي مختار؛ رشيد؛ أحداث 08 ماي 1945.

Abstract:

This research which is considered as an analysis of an Algerian novel in the french language. It target the study of the characters of the novel of KATEB Yacine entitled « Nedjma » edited in(1959)and translded by « Said BOUTADJINE » et « Med KOUIA ». Those characters which reflect the reality of the miserable and poor situation of the Algerian during the colonozator period.

Keywords: Nedjma, Algerians / French characters; Si Mokhtar; Rachid; events of 8th may 1945.

1. مقدمة:

تشكل شخصيات عالم "نجمة" الروائي قضايا ومشاكل مجسدة على أرض الواقع، فالشخصية أهم محرك لأحداث الرواية ولا يمكن بطبيعة الحال الاستغناء عنها، وقد ضمّن "كاتب ياسين" عمله أحداث 08 ماي 1945م، بصفتها فترة حرجة من تاريخ الجزائر، فكيف أسقط كاتب ياسين شخصياته على الواقع؟ وإلى أي مدى أسهمت في تشكيل البنية السردية؟

2. العنوان السياق التاريخي لرواية "نجمة":

ولد نص "نجمة" الأوّل شعراً رفضه الناشرون في بداية الأمر، لكن "كاتب ياسين" لم ييأس وراح يعدله وينقحه، ليصدر في النهاية عن دار (لوساي)، أعرق دار نشر فرنسية، حيث يقول: "نجمة، على سبيل المثال استغرقت مني كتابتها مدَّة طويلة، لقد استغرقت سبع سنوات من أجل فرضها على ناشري، ذلك أنني كلما كنت أعطيه النص، كان يقول لي

* المؤلف المرسل

إنه ... معقد جداً..."1، وقد ألح الناشرون في تنبيه الرواية إلحاحاً شديداً على "أنّها رواية متميزة، وأنها منتوج فعل شعري معبرة عن ولادة جديدة يؤسس بها مؤلفها لأدب أصيل يختلف عن الأدب الفرنسي، حتّى وإن كان يستعير منه لغته لاستعمالها كوسيلة تعبير"2، وقد استقى مادته الأولية من حب الجزائر ومن حبه الجنوني لابنة عمه المتزوجة، ليخرج إلى الوجود نقلة نوعية أحدثت ثورة في الكتابة العربية والفرانكفونية على حد سواء، ناهيك عن فتحها لأفق جديد ومغاير للأدب المقاوم والملتزم، وقد بث "كاتب ياسين" صورة معقدة للحدث النواة، الذّي تتولد منه بقية الأحداث، إذ أنّ شخصية "نجمة" التّي تحمل الرواية اسمها ترمز للجزائر، وترفض التستر على أعمال الاستعمار المتوحش، والتّي تضمنت مجازر مايو (1945م)، وراح ضحيتها جيل من الأبرياء، كما أنها محملة بالرموز التّي كان يلملمها كل يوم على مدى عشر سنوات –منذ (1946م)– لتغدو رواية في شكلها النهائي، وصدرت في باريس (1956م).

3. نبذة عن الرواية:

يستهل "كاتب ياسين" أحداث روايته بمشهد هروب "الأخضر" من السجن والتحاقه بشقيقه "مراد" وصديقه "رشيد" و"مصطفى" بعدها تروى يوميات الأصدقاء معاً، وتصور معاناتهم وأحلامهم المكسورة ليكون ملاذهم الوحيد هو الحشيش والخمر، ثم ينقلنا الراوي إلى حدث آخر، ألاَّ وهو العراك الذّي دار بين "الخضر" ورئيس العمال السيد (أرنست)، ممَّا يتسبب في دخول "الأخضر" السجن للمرة الثانية.

بعد خروج "الأخضر" من السجن يرد إليه خبر وفاة السيد (ريكارد) على يد مراد: "دخل حينها مراد بخطوات صامتة، لم يزاحم المدعوين وبضربة من الركبة، لوى جسد المقاول السيد ريكارد"3.

فيقرر الشبان الثلاثة (الأخضر، مصطفى، رشيد) الهرب من القرية خوفاً من انتقام السلطات للسيد (ريكارد)، وبعد اعتقال "مراد" يفترق الأصدقاء وتسرد مغامرات كل واحد منهم.

في وجه آخر من وجوه الرواية، يتم تصوير نبذة تاريخية تتعلق بقبيلة "كبلوت" بعدما التقى جيل الأبناء بجيل الآباء، ونستشف تفاصيل القصة على لسان "سي مختار" الذّي رواها لرشيد حينما انفرد به في الثلث الأخير من الليل، وهما في "بور سعيد" على متن السفينة التّي أقلتهما إلى مكة رفقة الحجاج، إذ جاءت قبيلة كبلوت من الشرق الأوسط، وذهبت إلى اسبانيا واستقرت بالمغرب تحت قيادة كبلوت ليستقروا بعدها في الجزائر وبالضبط في قسنطينة جهة جبل الناظور، فقد وقفوا ندّاً في وجه الاستعمار واستطاعوا الحفاظ على منطقتهم رغم الحملة الشرسة التّي شنتها القوات الفرنسية على القبيلة، وذلك إثر اكتشاف جثتين لرجل فرنسي وزوجته في مسجد كبلوت وقد مزقتها طعنات عديدة بسكين، فخرب الناظور ودمر وقتل أهله وأصدرت أحكاماً بإعدام أعيان القبيلة الستة ليقتلوا في نفس اليوم، الواحد تلو الآخر انتقاماً للقتيلين. بعدما غادر من نجا من شبان الناظور واستقروا في جهات أخرى من المنطقة ولم يبق إلاَّ بعض الشيوخ والأرامل.

ثم يلتقي "مصطفى" بنجمة داخل الترامواي المتوجه إلى حي "بوسيجور"، الذّي تقطنه "نجمة"، ومن خلال المونولوج الداخلي لمصطفى ينكشف المستور، وهو وقوعه المفاجئ في حب "نجمة" صدفة، ثم يعبر عن نظرة تشاؤمية للوطن والنساء عموماً ممثلات في "نجمة".

تتوالى الأحداث إلى أن تقرر "نجمة" الهرب مع مراد، وتطلب منه اصطحابها إلى العاصمة والعيش معها هناك: "إن مراد [...] يكون قد ترك الثانوية بإيعاز من ابنة عمته، وعدته بالزواج منه إذا كانت له الشجاعة الكافية لأخذها إلى الجزائر في سرية، كانت تأمل أن تحقق أحلامها هناك بعيداً عن الشائعات، أحلام فتاة "متحضرة"4، لكونها فتاة متحررة تكره القيود المفروضة عليها في عنابة، لكن "لالة فاطمة" والدتها بالتبني تحول دون حدوث ذلك، وترغمها على الزواج بـ "كمال" لتتذوق "نجمة" تعاسة لم تتخيلها يوماً.

وبعد ذلك ، يسترجع "مراد" طفولته وظروف نشأته حيث توفي والده وهو في سن مبكرة، فكفلته عمته التّي لم تحسن إليه شأنه شأن الأخضر، الذّي عاش رفقة أمه وزوجها "محمود" وإخوته من أمه، لكنه عانى الويلات بسبب زوج أمه،أمّا "رشيد" فيصاحب "سي مختار" الذّي يكبره مرتين، ليعرف خبايا مقتل والده وسر نسب "نجمة" الحقيقي، لكن الراوي يؤكد بأن "سي مختار" كان سنداً له في صغره، لذلك لم يتجرأ على الانتقام من قاتل والده، وذلك ما عاقبه عليه أصحابه وعشيرته.

ويلح السرد على نقطة أخرى، تتمثل في لقاء "رشيد" بـ"مراد" في عنابة، وإقامتهما في نفس الغرفة إلى جانب "مصطفى"، حيث يصاب "رشيد" بوعكة صحية تصيبه بالهذيان، وعلى إثرها يسرد على مسمع "مراد" قصة يقدم فيها كل ما يجوب بخاطره من حب ورغبة في الانتقام من قاتل والداه "سي مختار"، والذّي كان يعرف أسراره المتعلقة بوالدة "نجمة"، فيخبر "مراد" عن مغامرات أبائهم في الصغر، ويصف حياتهم المليئة باللهو والمجون والنساء (يقصد بكلامه سي مختار، سيدي أحمد والد مراد والأخضر، والد كمال بالإضافة إلى والده) ويصل بعدها إلى الحقائق المتعلقة بوالدة نجمة، الفرنسية المارسيلية: "أصل القضية لامبالاة امرأة فرنسية، لعلها الآن قد ماتت لم تكن قادرة على اختيار واحد من بين عشاقها"5، كانت الفرنسية تعيش في مرسيليا رفقة زوجها كاتب العدل، فعشقها "سيدي أحمد" والد مراد والأخضر، فاختطفها وتوجه بها إلى عنابة، مدينة المياه المعدنية على حد تعبير الكاتب، لكنها تخلت عنه وتبعت مختطفها الجديد والد كمال، فعلم "سي مختار" بالأمر، ونظراً لعلاقة الصداقة التّي تربطه بـ "سيدي أحمد" قرّر اختطاف الفرنسية بمساعدة والد رشيد، واتجها بها إلى مغارة في جبل الناظور، وهناك قتل "سي مختار" والد رشيد لينفرد بالمرأة الفرنسية، ثم يصطحبها إلى مكان مجهول، وتنجب منه "نجمة" ثم تهرب، فيوكل لأخته "لالة فاطمة" القاطنة بعنابة مهمة تربية نجمة.

وفي مقطع آخر يختطف "سي مختار" ابنته "نجمة" من مربيتها بمساعدة "رشيد"، الذّي يطمح إلى التقرب منها، ويحاول كشف أسرار "سي مختار"، فيلجأ الثلاثة إلى التخييم بإحدى الغابات بجبل "الناظور" قاصدين قبيلة "كبلوت"، لأن "سي مختار" ينوي ترك "نجمة" هناك لكن تشاء الأقدار أن يصادفهم زنجي من قبيلة "كبلوت"، فيشاهد "نجمة" و"سي مختار" ويعتقد أنهما ثنائي منافي للأخلاق من شأنه أن يدنس أرض الأجداد، فيغتنم فرصة هبوب عاصفة رعدية ماطرة، ويطلق النار على "سي مختار" ويصيبه بجروح بليغة في رجليه تؤدي إلى موته، ثم يصطحب نجمة إلى القبلية وهو في قمة الغضب، ويطرد رشيد من هناك ليعود إلى قسنطينة مسقط رأسه، ويسترجع ذكرياته وذكريات والده هناك، ويستعين بكاتب صحفي ليكتب أحداث حياته وحياة والده و"نجمة".

4. الشخصيات في رواية "نجمة":

تتعدد الشخصيات في رواية "نجمة" وتتنوع، فالشخصية أحد أهم النقاط الأساسية المكونة للعمل الأدبي، ولأهميتها " لم تستطع أيّة قوة أن تسقطها من على المنصة التّي وضعها القرن التاسع عشر عليها، بل إنّ النّقد لا يعترف

بالروائي الحقيقي إلاّ بها، فالروائي الحقيقي هو ذلك الذّي يخلق الشخصيات"6، ولا يبني شخوصه عبر العالم السردي فقط، بل يختارها بكل عناية ويترك لها بعض الحريات، حيث تنغمس في المجتمع معبرة عنه لأن مشاكل الحياة تقتضي "تسخير الأدب لتحليل الحياة الاجتماعية ونقدها والإيحاء بالثورة على الفاسد منها"7، وتكمن أهمية العمل الروائي في حسن انتقاء الشخصيات. وشخصيات روايتنا دفع بها حب "نجمة" إلى الهاوية:

.1.4 الشخصيات الجزائرية:

-نجمة:

تحتل هذه الشخصية مركزاً ثابتاً يتنافس عليه جميع العشاق، و"تشع تقريباً بنفس القوة، فإننا لا نعلم عن هذه الشمس إلاّ من خلال الضوء الذّي تعكسه على الأجسام التّي حولها"8، ويحاول عشاقها الاتفاق على حبها إلاّ أنّها تصدهم الواحد تلو الآخر، وهم بانجذابهم نحوها يتوحدون في الحب وحين تلوح لهم أبعد من نجمة في السماء، ينهزمون الواحد تلو الآخر، وتنكشف علاقات تداخل أصولهم العرقية، فنجمة نتاج علاقة غير شرعية –في ظل الاحتلال الفرنسي- بين امرأة فرنسية وأكثر من شخص، تلك "هي نجمة، نجمة التّي لا يتطاول إليها أحد، إنها الزهرة البرية لا يستطيع أن يشمها أحد، إنّها المرأة يحاول الرجال في صراعهم إثبات أبوتهم لها، كما لو أن أمها الفرنسية قد دفعتها إلى هذا المصير..."9، تبناها المرحوم زوج "لالة فاطمة" وفوض أمرها لزوجته، ولم يعترف "سي مختار" بأنها ابنته عندما عهدها للزوجين اللّذين ليس لهما أولاد، ولم تهجرهما أبداً، تزوجت رغماً عنها عام (1942م)، وهي ابنة عمة "مراد" و"الأخضر": "كانت نجمة سمراء جداً عندما كانت صغيرة سوداء تقريباً، طبع قاس الأعصاب متوترة، هيكل صلب، قامة دقيقة، ورجلان طويلتان تمنحها أثناء الجري مظهر عربات خيل عالية على عجلات تنعطف ذات اليمين وذات اليسار، دون أن تحيد عن سبيلها أيّة رحابة لوجه هذه الطفلة الصغيرة! [...] تضرب كل الأطفال الذين يدنون منها، لا تريد أن تدرس قبل أن تتعلم السباحة"10، وعلى الرغم من قوة شخصيتها وسحرها إلاّ أنها تتوحد مع الزنجي في جبل الناظور، حيث تستلم لأحضان الطبيعة الساحرة ولحارسها الجندي الزنجي وتختلط بأصلها العربي، ولكن قبل ذلك تتطهر من ماضيها بإلقاء ماء غسيلها قرب شجرة التين، ويكمن الحل في نظرها بإلغاء وصاية الجيل القديم "سي مختار" والجيل الجديد "رشيد" عليها، فلا تعترض على مقتل "سي مختار" ولا على طرد "رشيد" من الجبل.

-مراد:

هو شقيق "الأخضر" الأكبر من الأب، و"كان مراد في نهاية عام 1945، قد شارف الثامنة عشر، يتيماً في السادسة تكفلت به عمته من أبيه، "لالة فاطمة" التّي لم تكن لها سوى بنت واحدة، نجمة وذلك بعد أن فقدت أربعة أطفال تباعاً، مات سيدي أحمد والد مراد في حادث حافلة رفقة مومس جاء بها من بيت بغاء بتونس... حارب والد مراد تحت لواء عبد القادر ... وبذر سيدي أحمد السيولة النقدية، هو الذّي اعتاد على رقصة الشارلستون وتعدد الزوجات [...] وكانت والدته فلاحة فقيرة اسمها زهرة، التقى بها سيدي أحمد في مغارة بالأوراس"11.

لقد درس مع "نجمة"، فاتفقت معه على الزواج شرط أن ينتزعها من "لالة فاطمة" المقيمة بعنابة ويصطحبها إلى الجزائر العاصمة، لكن شاءت الأقدار أن يفترق الثنائي كما قام باغتيال السيد "ريكارد" لأنه تزوج بالفتاة التّي كان يحبها (سوزي)، وقد اعتقل مراد بسبب هذه الحادثة.

-رشيد:

ظهرت هذه الشخصية منذ بداية الأحداث الروائية إلى غاية نهايتها، إنها تتمثل في ولد يتيم الأب، اغتيل والده برصاص بندقية في مغارة قبل ولادته، ولم يستطع أحد التعرف على قاتله، وقد رغب "رشيد" بشدة في فك لغز الجريمة، وكان قد ورث عن أبيه منزلاً، وعندما أصبح شاباً فرَّ من الخدمة العسكرية، واختبأ في غابة "ريميس": "لم يكن يبالي بملاحقة، لا المدرسة ولا العسكرية ولا الورشة [...] كان مخبأه مخبأ كل المبعدين"12، وهو ابن الزوجة الرابعة، كان عازفاً موسيقياً ثم دخل عالم المسرح، كان صديق "سي مختار" الذّي التقى به عرس "نجمة"، وقد وقع في حبها كباقي الشبان.

-الأخضر:

هو ابن "سيدي أحمد"، بعد مجيئه إلى الدنيا، اضطرت عمته "لالة فاطمة" إلى طرده رفقة أمه إلى الأوراس، وقد أولت الرواية فائق عنايتها بحادثة عراكه مع السيد (ارنست)، ويتلخص الحدث في تلقي الأخضر لضربة على رأسه من السيد (ارنست) أسالت دمه: "ضرب السيد ارنست لخضر على رأسه بمتر كان بيده – تدفق دمه"13، علماً أنَّ الأخضر كان منهمكاً في عمله بالحظيرة، وقد باغت هذا الحدث العمال، فتوقفوا عن أعمالهم مدَّة، وراحوا يتابعون التطورات دون تحريك ساكن، وبعد مدَّة "يرمي المتر من يده استعداداً للاشتباك معه ولكن الأخضر فاجأه بضربة من رأسه فتحت قوس حاجبيه، فسقط أرضاً وسال دمه على وجهه وثيابه، وجرت ابنته وأحضرت رجال الدرك فاقتادوا الأخضر إلى السجن"14.

-كمال:

هو ابن عائلة ارستقراطية في عنابة، أمه "لالة نفيسة" وأبوه الشيخ "سي مختار"، تزوج بنجمة في عام (1942م): "كمال تاجر تبغ [...] عمره ثلاثون سنة، ليس ذميماً، يؤمن ولا يطبق، وطني معتدل لا يقلق سوى من وضعه كتاجر متوسط، أنيق يعزف على العود، أعجب في هذا المضمار بالطليعة المصرية، واستطاع أن يقلد [...] بأعجوبة، أصوات المؤذنين المرتعشة، يعيش كمال برفقة أمه وحماته في دار بوسيجور [...] تخلى عن دراسته بعد نجمة بقليل، أي في 1941، وذلك رغم نصائح لالة فاطمة..."15.

-مصطفى:

إنه ابن عائلة جزائرية كانت تقطن مع بقية الأعمام في قالمة بالشرق الجزائري، والده السيد "غريب" المحامي وأمه تدعى "وردة"، انتقلت أسرته إلى سطيف بعد ميلاده مباشرة، ثم غيَّروا مكان إقامتهم بعد فترة وجيزة، ولم يتعدى سن مصطفى آنذاك ست سنوات، التحق بالمدرسة المختلطة، واكتشف التفاوت الطبقي بين الجزائريين والأوربيين، فاصطدم بذلك الواقع المرير، ولما أدرك المرحلة الثانوية تعمق وعيه ورفض الواقع الاستعماري، وطُرد من المدرسة لمدَّة ثمانية أيام نتيجة عدم قدرته على الاحتفاظ بالمسافة الموضوعية بين وعيه الوطني ومساره التعليمي بعد أن سلَّم ورقة الامتحان بيضاء والمكتوب بين سطورها: "أستاذي العزيز لن أسلم ورقة امتحاني... فاليوم يوم المولد النبوي... إن أعيادنا غير مسجلة في تقاويمكم، لقد أحسن الرفاق صنعاً إذ لم يأتوا... لقد كنت واثقاً من أنني سأكون الأوّل في الامتحان... لقد جئت فقط لأعرف موضوع الامتحان، ولأحس بما يبعثه الامتحان في النفس من الهيبة"16، ثم شارك مصطفى في مظاهرات الثامن مايو 1945م إلى جانب الأخضر، ورأى بعينيه هول المجازر وقتل الأبرياء، وبعد ذلك تمّ توقيفه واعتقاله، ثم نقل إلى السجن المدني ليجد نفسه مع الأخضر، وبمرور بضعة أشهر أطلق سراحه ليتعذب عذاباً آخر، تمثل في الدمار الذّي حلَّ

بعائلته بسبب اغتيال أفرادها حسب ما جاء في مونولوجه: "فقد مات من عائلتي منذ يوم 08 ماي 1945 أربعة عشر شخصاً فضلاً عن الذّين أعدموا بالرصاص"17.

–سي مختار:

شيخ يتجاوز عمره السبعين عاماً، وهو الشخصية المناقضة لرشيد الذّي كان في العشرين أو الثلاثين من عمره، إنه دنيء لا يفكر إلاَّ بملذاته الجسدية، يتعرف على امرأة ثم يتركها لأجل ثانية أو ثالثة أو رابعة، والمرأة في نظره وسيلة للمتعة فقط، جسَّد فيه المؤلف كل الصفات السلبية التّي تنم عن نذالته ونتانته: "هو الذّي طاف حول العالم [...] وكاد يرجم في السعودية، الذّي كان شديد البأس في بومباي وبذَّؤ إرثه في مارسيليا ثم عاد إلى قسنطينة قوياً، هو الذّي استثمر ثروات أخرى لدى النساء الفاسقات ورجال السياسة يتزوج ويطلق، يضع العقد، يقلب المدينة رأساً على عقب لاسترجاع ماله الضائع [...] بلا زوجة، بطال، مكسر الأبواب، عديم الذاكرة [...] متعلم الانجليزية من جندي ولكنه لا ينطق أبداً بكلمة فرنسية دون تحريفها عملاق، كتوم، حساس، متفسخ، محتال، أحمق، مشهور، عجيب"18، وسبق وأن عرَّف الشيخ رشيداً على نجمة، ولم يطلعه على تفاصيل أبوته، وسعى إلى تزويجهما بعدما اختطفها من زوجها كمال، وهمَّ بها إلى قبيلة "كبلوت" بجبل الناظور، ولكن وافته المنية قبل أن تتحقق أمنيته.

–الزنجي:

كان له تأثير قوي في قسم من الفصل الرابع من رواية "نجمة"، وهو الفصل الذّي يتناول مشهد اختطاف "نجمة" من قبل "سي مختار" بمعية "رشيد"، فتقدم الرواية الزنجي بصفته شخصية تقوم بدور حماية القبلية من الأعداء وحتّى من أبناءها الذّين فرّوا إلى المدينة وتركوها تواجه مصيرها في عزلة تامة، فصورت الرواية الزنجي في صورة ساحر يمتلك مهارات كثيرة منها السحر ناهيك عن قوته، وحمل السلاح: "صياد ماهر، ساحر [...] رأى الزنجي قدم السي مختار كان على دراية بكل وقائع الدوار المختلفة وكان يجوب الناظور ليلاً نهاراً طولاً وعرضاً [...] أبصر مجيء الشيخ ورآه يستقر رفقة ابنته لكنه لم يلحظ رشيد. استنتج الزنجي أنَّ سي مختار ونجمة يكونان زوجاً منافياً للأخلاق، لقد طرد من مدينته وجاء يدنس أرض الأسلاف"19. ثم يصيب "سي مختار" بسلاحه ويتسبب في موته.

2.4. الشخصيات الفرنسية:

–رب العمل:

السيد ارنست:

معروف بجبنه وحقده على الأهالي، زيادة على استيلائه على الأراضي، لأنه يراها وسيلة وحيدة يضغط بها على العمال الجزائريين، إن (ارنست) لص محترم: "جمع المال الذّي اشترى به المنزل الفخم أثناء وجوده في الجيش"20، ذلك هو رئيس العمال الدائم الحذر من العمال، لا يتخلى عن مراقبتهم خفية وإزعاجهم، ولذلك يحذرونه ولا يثقون في كلامه أو وعوده.

المقاول ريكار:

هو صاحب الشركات والمزارع والمتاجر والحافلات، حريص جداً على مواعيد عمله اليومية، فكل يوم يكون وراء عجلة قيادة حافلته في الساعة السابعة، وقد "اتخذ ستون فقيراً معدماً لهم فيها مكاناً وسط سحابة من الدخان، كان كل

المسافرين يعرفون من هو السيد ريكار، ولم يكن أحد يتوجه إليه بكلمة، والحق أنّهم لم يكونوا يتوانون في شتمه شتماً مقذعاً طوال السفرة، ولكن بصوت خافت"21، غير أنّه لا يولي الأمر أهمية، لأنه يتلذذ بسماع الشتائم وإشعال حقد العرب، وعندما يصل إلى المدينة يتوجه مباشرة إلى الحانة التّي لا يعرفه فيها أحد، وهناك تحرجه النادلة بسؤال خبيث: "متى نحتفل [...] فينظر إليها ريكار قائلاً: "لعل الخبيثة تعتقد أنني غير قادر على أن أجد زوجة لي، وه زعم باطل يروجه اليهود والعرب عني. هم يعرفون أنني تزوجت قبل أن يولدوا هم، وبالمراسلة فوق ذلك، وهو أمر يعجزون حتّى عن تصوره"22.

رجل التعليم:

بعدما وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر ضربوا القيم العلمية والخلقية والتربوية عرض الحائط، وحاولوا التأثير على المتعلمين باسم السلطة رغبة منهم في تكوين جيل الأتباع المخدوعين، لا تهمه منفعة البلاد بقدر ما يهمه تحصيل المعلومات لصالح فرنسا، ويعرض كاتب ياسين صورة لأستاذ فرنسي هو السيد "تومبل": "عميد الأساتذة وعضو في مجلس التأديب، كان صوته قوياً يبعث الرعب في النفوس، وكان يصر على أن يحفظ التلاميذ دروسه حرفياً، ولم يكن يعيد درساً قام به من قبل ولا كان يتراجع في عقوبة ينزلها ببعض التلاميذ، ولا كان يتبسط في الحديث مع سائر الأساتذة، ولم نكن نلتقي به في شوارع سطيف"23. إنّه أستاذ حاد، لا يقبل أخذاً ولا رداً، وكأنه خال من العواطف.

الجندي:

عرف الجزائريون الوجود العسكري الفرنسي أثناء فترة الاحتلال، إما باحتكاك الشباب الجزائري به إبان فترة التجنيد الإجباري، وإما أثناء تواجدهم في غياهب السجون كما هو حال الأخضر –طالب بالثانوية ألقي عليه القبض عقب حوادث 8 ماي 1945، وتعرف على ضابط فرنسي أعجب به، إنه رجل قوي من شمال فرنسا، بشوارب صهباء، يشرب الخمر كثيراً، ويكره الحرب، لا يهتم باي دين، فهو من الطبقة المرتكز همها على النجاة من مشاكلها، ولذلك السبب لا يضرب أحداً من المساجين، بل يتذمر من تذكر أعمالهم، ويعتبر نفسه أرقى من المغاربة الشلوح، ولا يطيق التجنيد إطلاقاً، بل يكرهه لأنه رأى بعينيه ما فعله "الشلوح" في بلده أثناء الحرب العالمية الثانية "الشلوح، أي البوش، أعني الألمان"24. إنه عنصري.

رجل الأمن:

ورد طاقم الشرطة بمختلف فئاته ودرجاته في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، ومفتش كاتب ياسين حاد المزاج، يتعامل مع الأخضر بشراسة بعد إيقافه: "استسلم الأخضر، فقيَّد المفتشون يديه ورجليه، ثم أثبتوا القيدين بعضا طويلة أفضت إلى شله عن كل حركة، ثم اخذوا سجينهم من وسطه وألقوا به في حوض الماء [...] وكان الضابط يزيد من دفق الماء بالتدريج، كان الأخضر يتخبط أكثر فأكثر"25، ثم ينهال عليه المفتش باللكمات القاسية المحددة حتّى يدميه، وعندما تتلطخ يده بالدم تأخذه عصبية عنيفة جداً، فيمسك وجه الأخضر بعنف، صافعاً إياه بظهر كفه حتّى يغمى عليه، بمعنى أنّ الشرطي في رواية "نجمة" لا يعرف إلاَّ العنف ثم العنف.

صاحبة المحل:

تنبعث في مخيلة رشيد (مارسيل) صاحبة المحل الشهير: "مارسيل لقد حماها أقبح من في الولاية من الرجال، فحصلت على ثروة طيبة، ه ضخمة كالجبلى ولكنها لم تستطع أبداً أن تلده، غارقة في السمنة حتّى أذنيها، يغطي

جسمها الشعر [...] كانت ذراعاها المثقلتان بالأساور ترسمان على الجدران رسوماً كأشباح الظل الصيني"26، تبدو الصفات التّي ألحقت بمارسيل رجولية لا نسوية، ونقصد بذلك عدم الإنجاب وجسمها المغطى بالشعر.

المعلمة:

فكّر الأهالي في إقحام أبنائهم في جو المدارس الفرنسية، ومصطفى واحد من أطفال الأهالي، تأثر بنظافة معلمته –الآنسة بول دوباك–، وشبَّه منديلها بكرة الثلج وهو تلميذ لم يبلغ مرحلة المراهقة بعد: "لو مكنتني من شم أظافرها لو استبدلت عرقي بعرقها دوباك بول، كنا نستنشق الهواء ثم تستعيده، ثم نصرح فنلقيه بعيداً أمامنا"27، وكيف لا يتمنى ذلك وهو يراها أميرة الأحلام، كما سماها رفاقه الذّين يتحسسون عليها في بيتها الفخم، وعلى الرغم من ذلك لا تكرههم، وتعرف أسماءهم، غير أنها لا تطيق ملابسهم الممزقة.

الفتاة سوزي:

ورد ذكر (سوزي) بنت السيد (ارنست) في موضعين من الرواية، أولاً في رؤية العمال لسوزي لأول مرة، وحدث ذلك لما أحضرت الغذاء لأبيها إلى الحظيرة، فكان لجمالها بالغ الأثر في نفوسهم جميعاً: "وصلت الفتاة على الساعة الحادية عشر، تحمل سلة، سبحان الله... ! كلها حركات أخاذة تحول الناظر إلى صنم... إنها تدعى سوزي، كما لو كانت فنانة!... وابتسمت سوزي، إن ابتسامتها وحدها بما فيها من نضرة لتنذر بالعاصفة، رغم أنَّ سوزي كانت تجتهد في ألاَّ تثبت بصرها على أي واحد من العمال بوجه خاص"28. وفور فراغ السيد ارنست من الغذاء طلب من مراد مرافقة ابنته، حيث ينتظره هناك خشّب ليقطعه. وثانياً، يأتي موعد لقاء آخر بين مراد وسوزي في الحقل، حيث قامت (سوزي) بجولة في الحقول بين النرجس والأعشاب، وفي طريق عودتها التقت بمراد ومشت بجانبه.

وعليه يمكن القول أنَّ الشخصيات في رواية "نجمة" تنوعت وتعددت وتباينت وتقاطعت فيها الهوية الجزائرية مع الهوية الفرنسية، وحملت شحنة قوية جعلتها تعكس أحداثاً واقعية، فأصبحت أقرب إلى الواقع والحقيقة منها إلى الخيال:

5. خاتمة:

يمكن أن نستخلص عدّة نتائج منها:

1–اعتمد الروائي في سرده على الطريقة التفسيرية التحليلية التّي تقوم بوصف الشخصية من جوانب مختلفة.

2–ارتبطت الشخصيات بفترة مهمة من تاريخ الجزائر، ألاَّ وهي حقبة الاحتلال الفرنسي.

3–عبرت الشخصيات عن دورها وزيادة، فكسرت بعض الشخصيات ما كان مألوفاً كشخصية "نجمة" التّي تحايلت على الرجال وتسببت في قتل والدها.

4–ركّزت الرواية على فئة الشباب والعوامل التّي أدّت إلى اعتقالها.

5–جاءت الشخصية الفنية محاكية للواقع مما صبغ النص بمسحة جمالية وواقعية.

6. قائمة المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2، دار الآداب، 1977.

2. آلا نروب جرييه، نحو رؤية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر.

3. سعد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت– لبنان.
4. عمر مختار شعلال، الرجل الحر، تر: محمد أوزغلة، دار القصبة، الجزائر، 2007.
5. كاتب ياسين، نجمة، تر: سعيد بوطاجين، ط1، منشورات الاختلاف، دار لوساي الفرنسية، 1996.
6. كاتب ياسين، نجمة، تر: محمد قويعة، دار سيلاس، تونس، 1984.
7. محمد السعيد عبدلي، عالم كاتب ياسين الأدبي، دار القصبة، الجزائر، 2009.
8. محمد مندور، الكلاسيكية والأصول الفنية للدراما، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

7. الهوامش:

[1]– عمر مختار شعلال، الرجل الحر، تر: محمد أوزغلة، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص 87.
[2]– محمد السعيد عبدلي، عالم كاتب ياسين الأدبي، دار القصبة، الجزائر، 2009، ص 14.
[3]–كاتب ياسين، نجمة، تر: سعيد بوطاجين، ط1، منشورات الاختلاف، دار لوساي الفرنسية، 1996، ص 27.
[4]– المرجع نفسه، ص 89.
[5]–كاتب ياسين، نجمة، تر: محمد قويعة، دار سيلاس، تونس، 1984، ص 197.
[6]– آلا نروب جرييه، نحو رؤية جديدة، تر: مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، مصر، ص 34.
[7]– محمد مندور، الكلاسيكية والأصول الفنية للدراما، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص 89.
[8]– أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط2، دار الآداب، 1977، ص 111.
[9]– سعد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت– لبنان، ص 199.
[10]–كاتب ياسين، نجمة، تر: السعيد بوطاجين، ص 83.
[11]– ينظر: المرجع نفسه، ص 82.
[12]– المرجع نفسه، ص 160.
[13]–كاتب ياسين، نجمة، تر: محمد قويعة، ص 48.
[14]– المرجع نفسه، ص 51/50.
[15]– المرجع السابق، ص 88.
[16]– كاتب ياسين، نجمة، تر: محمد قويعة، ص 232.
[17]– المرجع نفسه، ص 86.
[18]– المرجع السابق، ص 111-112.
[19]– المرجع نفسه، ص 155.
[20]– كاتب ياسين، نجمة، تر: محمد قويعة، ص 46.
[21]– المرجع نفسه، ص 09.
[22]– المرجع نفسه، ص 10.
[23]– المرجع نفسه، ص 230.
[24]– المرجع نفسه، ص 63.
[25]– المرجع نفسه، ص 64.
[26]– المرجع نفسه، ص 33/32.

[27]- المرجع نفسه، ص 214.

[28]- المرجع نفسه، ص 08.